قصة الانقلاب

•

تضليل

عاد نوري السعيد وفاضل الجمالي في كانون الاول سنة ١٩٤٧ من جمعية الامم المتحدة بزي فرسان فلسطين وعلى فم كل منهما زبد من آثار تلك المعركة التي اجالت السياسة قداحها بمهارة .

واقبلا على لندن لتعلن هذه العاصمة الساحرة عنهما بطولة الدفاع عن البلد الشهيد ، وقد أعلنت ما تشاء ان تعلن حتى رفعت من صاحبينا علمين شاءت ان تقول إنها تعلم منهما ما لا نعلم نحن ... ؟!

ولم تكن وحدها مهتمة بفلسطين فقد كانت قيامة فلسطين قائمة في بغداد أيضاً وفي غيرها من عواصم العرب .

حدّث ولا حرج عن مكاتب التطوع ، وعن تصريحات رؤساء الحكومات العربية ، وعن حمى الصحافة التي لم تكن تعرف انها

مسيرة الى غير غاية ، ودون هضم لما تهذي به من الصراخ الاصم!..

لقد عاد نوري وعاد معه فاضل الجمالي بطلين . وأقبلا فارسين معلمين ، ولكنهما لم يعودا الى بغداد ، وانما عادا الى لندن ، ولم يقبلا على فلسطين بل اقبلا على انشاء «الدفاع المشترك» وتعديل المعاهدة العراقية لتكون سبيلاً الى تعديل المعاهدات العربية .

نوري في اللجنة السياسية

وكانت لجنة الجامعة العربية السياسية مجتمعة في مصر تجزل الحطب لنار فلسطين وتثير العواطف تحت «قدرها» الفارغ لاسكات الجياع، وإلهائهم عما كانت تكتمه من اسرارها باسم المحافظة على فلسطين وانها لتكتم في الواقع اسرار «الدفاع المشترك» الذي كانت تسير اليه باحتياط وتحفظ .

وليس أدل على هذا من استدعاء نوري السعيد من لندن الى حضور اللجنة السياسية في السابع عشر من كانون الاول بعد الاعلان عن انهماكه في أحد اجنحة فندق «كلاردج» بمشاريع سياسية خطيرة .

ولم يكن الرجل عضواً في اللجنة السياسية ولكن له حقاً طبيعياً في هذه المؤسسة التي كان له شرف العمل في بنائها ...!؟

ولننظر ما استعصى على (جبابرة العرب ...!) في اللجنة السياسية من مشاكل فلسطين ، هذه المشاكل التي تعقدت على ايديهم ...

من الحق ان الوثائق في هذا الموضوع تعوز الباحث لانها كانت

ولا تزال سرية يعضون عليها بالنواجذ ، ولكن الدوائر الانكليزية صرحت في ١٨ كانون الاول بان الجهات الانكليزية لم تحتج على تدخل العرب الشديد في قضية فلسطين ، « وان المسائل اتفق عليها شفهياً في بغداد والعواصم العربية » .

وهذا وحده يعطينا صورة عن مهمة السعيد في الشخوص الى اللجنة السياسية في القاهرة .

فنحن نعلم بان الانكليز لا يحتجون على « تدخل العرب الشديد في قضية فلسطين » ولكنهم يثيرون الخبر من أجل ان يكذبوه ، والغرض من هذا وذاك تكدير الجو بالقيل والقال ، وهي سياسة تعرف الانكليز لها فضلاً في ايامها الشداد .

وسوق هذا الخبر عن فلسطين تعمية واضحة لهـــذا الختام : « وان المسائل اتفق عليها شفهياً في بغداد والعواصم العربية » .

وبديهي أن لا صلة بين المقدمة والخاتمة إلا كالصلة بين مشكلة فلسطين بالذات وبين استدعاء نوري السعيد من أجلها .! . .

وتوضيح ذلك أن نوري السعيد استدعي بعنوان استشارته في قضية فلسطين والاستفادة من معلوماته الاخيرة في «لايك سكسس». أما الحقيقة فقد كانت اللجنة في حاجة إلى معلوماته التي أحصاها في فندق « كلاردج » تلك التي تسرب علمهـــا بالرغم من التكتم الى الكثيرين ، وسميت يومئذ في بغـــداد بـ « مشروع جديد لتقسيم فلسطين » .

وماذا عسى أن تكون « تلك المسائل التي اتفق عليها شفهياً » غير « الدفاع المشترك » وما يتبعـــه من الاجراءات التي تضمن

للحليفة مصلحة السيطرة على القيادتين العسكرية والاقتصادية ؟..

معول !..

قلت إن الوثائق تعوز الباحث في هـذ الموضوع ، وذلك هو الحق ، لان الكثير من الخطوات الخطيرة كانوا يكتفون منهـا بالمقابلات الشفهية زيادة في الكتمان والاحتياط . وقد صرح أرشد العمري مرة للصحفيين يوم كان وزيراً للخارجية في وزارة حمـدي الباجه‌جي فقال : لقد جئت الى هـذه الوزارة فلم أجد وثيقة ولا سجلا رسمياً للمخابرات والمشاريع الدولية المهمة ، لان نوري السعيد لا يهتم بهذه الامور ويكتفي بالمحادثات اللسانية » .

قال ذلك بلهجة الناقد ، وقد فهمت أنا من يومئذ أن هـذه سياسة خاصة مبناها التملص من المسؤولية ، ومغزاها التخريب ، وتعليم الموظفين خلق الاستهتار ، وفق منهج استعماري مقدر .

ومهما يكن من شيء فان الذي لاح لنـا وفهمناه من الاندية العليمة ان استدعاء نوري السعيد كان الجزء الاخير من الخطـة للشروع بتنفيذ معاهدة الدفاع المشترك ، التي افسدتها وثبة العراق بعدئذ فاضطرت الانكليز لتوجيه الخطـة في اتجاه آخر سنراه فيما بعد .

يقظة بغداد

وكانت انباء هذه الخطة تتسرب الى الاندية السياسية وتقرع اسماع السياسيين المهتمين بمراقبة الحركة الوطنية ، وكان ما يبلغهم

من هذه الانباء يدعوهم إلى التكتل ازاء التدابير التي كانت وزارة صالح جبر تتعهد بتنفيذها .

وكانت حكومة صالح وانصارها يحسون بما يجري من استعداد لنقض غزلهم ، وابطال سحرهم ، ولكنهم كانوا مغرورين غروراً كبيراً باحراز الاغلبية البرلمانية ، ومع ذلك فقد احتاطوا للامر فبنوا (خط الدفاع) عن سياستهم بصرف اهتمام الرأي العام الى قضية فلسطين ووضعها أمام الجمهور حيث لا يستطيع معارض ان يشغل بغيرها فان فعل بدا – بحكم هذه الخطة – مارقاً ، ووصفه انصار (معاهدة بورتسموث) بالخروج والتصهين وما شاؤوا من هذه الالقاب المفتراة .

ولا انسى ان معالي الاستاذ الشبيبي – وهو من اعلام الجبهة البرلمانية – نشر كلمة في تلك اللحظة رأى فيها ان واجب الاصلاح الداخلي يتوجه على العراقيين قبل اهتمامهم بحل مشكلة فلسطين ، ولا انسى ان الافواه يومئذ نالت منه ما لا ينبغي ان تنال من امثاله .

غير أن الكلمة أحدثت الامر المطلوب اذ تبعه فيها ناس كثيرون ، ثم كانت ازمة الغلاء عاملاً من اكبر العوامل على نجاح الجهود التي اشتركت بوضع تلك الكلمة ونشرها .

وكان هذا اول الغيث في افساد خطة انصار المعاهدة ، فقد بطل مفعول الدعاوة لفلسطين وكانت هي الدخان الصناعي المدخر لانزال المعاهدة بين طياته وفي ظل غيمه وظلامه .

وفي حين ان الرأي بدأ يتجه إلى ما يجرى وراء النداء والضوضاء باسم فلسطين ، كان لا بد للحركة الوطنية من مواصلة

السعي . لان صالحاً كان قد سخر نفراً من ذيول الاستعمار ان يشغلوا الناس باخبار التطوع وجمع الاكتتابات باسم (جمعية انقاذ فلسطين) على ان تبذل هذه الجمعية بالسخاء الذي تُظهر مزيته ازمةُ الرغيف والقلةُ التي مني بها الناس من تعقيد الحيـــاة الاقتصادية المقصودة لسياسة الاستعمار بتصدير الشعير والتغاضي عن تهريب الحنطة ، كي يكون البذل عند الحاجة مغريـاً للفقراء إلى جانب السيطرة على الاغنياء باجازات التصدير .

وكادت الجمعية هذه تنجح بمهمتها فعلاً لأن البذل كان مركزاً باسم التطوع لفلسطين ، ولأن المجاعة كانت هي التي تصنع تأثير هذا البذل .

وهاتان الوسيلتان كانتا عظيمتي الحظ من الحكمة السياسية لولا ان يفسد الوعي الصحيح اثرهما .

جبهة الدفاع عن فلسطين

وكان مفتاح افساد هذه الخطة ان تساءل الوطنيون عن هـذه النفقات التي لم تكن تناسبها قـــلة الوارد من الاكتتابات ، وعن مصادرها التي لم تكن واضحة للرأي العام ، وعن سلوك القائمين بتوزيعها الذي لم يكن يرضي المخلصين من الوطنيين .

وقبل ان تفتضح اسرار هذه الاسئلة بما يجاب عليها ، بـــدأ المتبرعون ومن يجدون في انفسهم نيـــة التبرع يشكون بمصير أموالهم ، أمـــا المعروفون من اشخاص (جمعية انقاذ فلسطين) فكثرتهم من لصوص الموظفين المستقيلين والمفصولـــين ، وهم في

الحالين ممن عرفوا بخدمة السياسة الاستعمارية .

هذا ما حدا بالهيئات الوطنية ان تتزعم الموقف في توجيه القضية الفلسطينية .

والذي حدث بعد تصدي اهيئات الوطنية إلى ذلك ان اسرع أنصار المعاهدة للتدخل خوفاً من الفضيحة والخذلان من جهة ، وحرصاً على التوازن بين سياستي المعاهدة وفلسطين وفق خطتهم المرسومة من جهة أخرى .

وتوجهت الجهود على اثر ذلك إلى تأليف جبهة متحدة ضمت ممثلين عن جمعية الدفاع عن فلسطين التي كانت تألفت من الاعيان في أواخر آذار سنة ١٩٤٦ لغرض من أغراض السياسة التي لعب أبالستها [١] دورهم في اسقاط حكومة السويدي بعدئذ .

كما ضمت ممثلين عن الاحزاب والجمعيات وكافة المؤسسات الجماعية المعروفة في بغداد ، وفي ضمنها مؤتمر العشائر الذي عقده صالح جبر في الحلة باسم فلسطين ايضاً .

ولم يكد يتجه السعي الى ذلك حتى دبرت كتلة نوري التي اقامت أمينها السيد عبد المهدي « عيناً » دائماً في مجلس الاعيان يرقب الحوادث ويرفع التقارير — دبرت هذه الكتلة حيلة بارعة لهدم هذه الجبهة بارسال عقارب التفرقة تدب بين صفوفها في اجتماعاتها

---

(١) هم فرسانها السبعة صالح جبر وارشد العمري وحمدي الباجه جي وعبد المهدي المنتفكي وصادق البصام ومصطفى العمري وزعيمهم نوري السعيد. وهؤلاء هم الذين تألبوا من قبل على السيد محمد الصدر الذي ترفع عن منازلتهم ، كما تألبوا على غيره من اعلام القضية العراقية .

التمهيدية . وكان الرتل « الخامس » المكلف بهذه المهمة مؤلفاً من صادق البصام وحمدي الباجه جي وموحان الخير الله ، وانما اختاروا الاولين من الافندية لانهما أقرب القوم إلى العاطفـــة والبساطة ، وافدرهما على الاصطدام والانفجار .

وهكذا كان، فقد اصطدم البصام بالشبيبي واصطدم الباجه جي بالمدفعي،وكاد الامر ان يتم لهدم الجبهة لولا أن يتدارك الامر سماحة الصدر بزعامته وحكمته .

وقد شهدت بنفسي مؤتمراً في ديوان رئاسة الاعيان بعد احدى جلسات الجبهة الصارخة . وبعد أن خرج جميل المدفعي غاضباً — شهدت بنفسي في ٢١ كانون الاول سنة ١٩٤٧ مؤتمراً سرياً مؤلفاً من السيد عبد المهدي وصادق البصام وجمـــال بابان يرفع تقريره عن الجلسة لنوري السعيد . وكان السيد عبد المهدي يرعد ويزبد ويهدد بالانفصال عن الجبهة وسحقها بالقوة. وكان نوري السعيـــد يغريه بذلك ويأمره أن يمضي بهذه الخطة ، غير أن سماحة الصدر يدخـل أثناء ذلك فيقول لنوري السعيد : هذا رأي صبياني والمصلحة انما هي توحيد المساعي ، اننا نريد أن نضرب على أيدي هؤلاء الصبيان الذين جروا للبلاد أفدح الخسائر بحماساتهم الفجة .

ثم عالج الموقف بعد هذا الاجتماع الخاص وألف الجبهة منتصراً على الدسائس التي حيكت لتفريقها .

ولعلك تتساءل عن صلة هذه القصة بالمعاهدة وباجوائها الغائمة ، والجواب انها منها في الصميم ، ولكي نوضح ذلك نشير الى وجـه الخلاف بين الفريقين داخل الجبهة .

وكان الخلاف يدور بين الفريقين على مدى مساعدة فلسطين في مثل هذا الظرف بعينه ، وعلى ان أحوال العراق الراهنة تستحق العناية والاهتمام . أما أنصار نوري فكانوا يرون نسيان العراق والانصراف الى الاهتمام بفلسطين فقط ، وأما معارضوهم فكانوا يرون ان الاهتمام بفلسطين من النوافل بالقياس الى ما تصير اليه الاحوال الداخلية من الانتكاس والتردي .

وهذا النزاع ينحلّ في نهاية الامر الى النزاع حول المعاهدة . فالقائلون بالاهتمام بفلسطين فقط يدعون الى تصديق المعاهدة ضمناً ، والقائلون بالاصلاح الداخلي يدعون الى رفضها ضمناً ، وقد كان يفهم كلّ من الفريقين لغةَ صاحبه دون أن يصرح ، لذلك كان الصراع بين الرأيين عنيفاً بالغ العنف ، وان كانت تعابيره مجازية . وكان الصراع يدور في الواقع على محور مبدئي اذ كان موضوعه : (استغلال العراق أو استقلاله) .

ثأر الجهاز الوطني

هذه صلة موقف جبهة الدفاع عن فلسطين بمعاهدة «بورتسموث» .

وقبل رفض المعاهدة التي لم تكن واضحة النصوص يومئذ كان يحفز القوم للاتحاد الثأر للجهاز الوطني المهان ، ويدعوهم الى التكتل الاستهتارُ الاستعماري وتفريطه باقدار رجال العراق واعلامه ، فقد تخطفتهم السياسة الانكليزية واحداً بعد آخر واسدلت بينهم وبين الجيل الطالع ستاراً مظلماً لتقطع صلة الماضي بالحاضر ، وتحول دون معرفة الوارثين من الشباب بتراثهم الوطني في جهاد الشيوخ .

ودأبت على ذلك سنين عدة تزين للشباب الاستهانة باقدار الاعلام وتجرىء الاوباش على النيل منهم والغض من شأنهم حتى أقعدت كبارهم في عقر بيوتهم، فارّين الى كرامتهم من هذه الحرب المنكرة الشاذة .

ذلك من أكبر العوامل وأهمها على الوثبة والعمل على الاصلاح بوضع الامور في أنصبتها وإعادة المياه الى مجاريها، ونزع السلطة — وهي الزمام — من الصنائع والمماليك .

هذا مضافاً الى عامل آخر لا يقل أهمية عن هذا العامل وهو شعور الطبقات الثقافية بما يلحقها من إهمال ، وما يحال بينها وبين التقدم من جهة وبين الحرية من جهة اخرى، فالموظف والطالب — وهما المدركان في العراق — ممنوعان عن الرأي السياسي ، محرومان من حرية التعبير حتى عن الحقوق الوطنية .

النفوذ الثقافي

وقد ارتبط هذان العاملان في هذه الوثبة ارتباطاً وثيقاً ، والتقيا على موعد مقدر في اللحظة المعينة ، فتكوّن منهما الوعي الصارم الذي كان أداة الانقلاب في صورته الجديدة .

وقد حفظ تاريخ العراق ألواناً من الانقلابات اعتمد بعضها على قوة العشائر العراقية كانقلاب ياسين الهاشمي ، وبعضها على قوة الجيش كانقلاب بكر صدقي أولا وانقلاب رشيد عالي ثانياً، ولكن الانقلاب الاخير لم يعتمد على هذه الوسائل التقليدية الشاذة ، بل اعتمد على « الوعي » فقط ، فجنّد الطلاب في مظاهرات سلمية

أفضت الى الغاية المطلوبة .

وبدأت مساعي الجبهة التوجيهية تعمل عملها هـــذا في النصف الثاني من كانون الاول سنة ١٩٤٧ أي حين كانت لجنة الجامعـــة العربية في القـــاهرة تدور حول نوري السعيد لتستمع اليه وهو يحدثها عن مجهوداته في أروقة فندق « كلاردج » في لندن باسم استيضاحها إياه عن ماجريات الاحوال في أبهاء جمعية الامم المتحـدة في « ليك ساكسس » .

وكانت الهيئات الوطنية وعلى رأسها سماحة الزعيم الصدر تقدر – كما كانت تدل الظواهر – أن الجو السياسي سينكشف عن سوء لا بد لدفعه من تضحية ، ولا بد للنصر عليه من شهيد .

الرواية

ترك نوري السعيد زميله فاضلا الجمالي في لندن ليتم ما بدأه هو وخف إلى عمله في الجامعة العربية – كما قلنا – بالاشتراك مع زميله صالح جبر .

وأقبلا (صالح ونوري) على جناح الريح ،لا من القاهرة رأساً بل من عمان عاصمة جلالة الملك عبدالله ، إذ هبطا فيها وألمّا بمليكها فقصا عليه نبأ « المعاهدة » ... أو نبأ « المشاريع » التي تتمخض بها « بطن » لندن لتلد « سياسة العرب » بعد الحرب الماضية وقبـل الحرب الآتية .

وكانا ينويان أن يعوجا ببيروت التي وضعت كفها بكف بغداد ، ولكن طارئاً من الاحداث الفاجئـــة أمرهما بالعودة إلى

العاصمة ، ففي العاصمة ما يدعو إلى سرعة العودة .

وكان جناحاهما يصفّان للهبوط في مطار بغـــداد المدني ظهر الجمعة التاسع عشر من كانون الاول سنة ١٩٤٧ ، وكانا يهبطان من سماء الفتح ببطولة الفاتحين ..!!

أليست آية ذلك هذا الاستقبال الضخم يضم مترفي عاصمة فيصل وازيان (مالها) النافذين ؟ ..

نعم ولكن آية ذلك الاولى اقبال سمو الامير يميل على صهوة جواده ويشارك المترفين بنشوة الاستقبال العظيم ؟ !

وليس من المنتظر ان يتحدث الرجلان أو أحدهما عن (سر) هذا الفتح الذي يسوق لهما هذا الاستقبال الضخم ، وحسب الناس ان يعلموا من صالح ان الجامعة توصلت إلى « نتائج سارة تضمن فوز العرب ، والتفاصيل لا بد من بقائها سراً وذلك كل ما يهم الرأي العـــام » ! ..

ولندع (سره) في صدره لنرى مدى النشاط المتفاعل بعـــد وصوله عمّ عساه ان يسفر .

وفي اليوم الثاني غدا صالح على مكتبه في مجلس الوزراء وغدا نوري على ديوانه في مجلس الاعيان ، ولم يكن صدى صوت فلسطين مبشراً بخير ، فبغداد توشك ان تنصرف عنه إلى معارك الخبز حول التنانير ، والى التأثر بالكتل السياسية الحذرة ..

ورن التلفون السري في ديوان مجلس الوزراء فاذا السيد عبد المهدي يقول : « لقد بسطت الامر الى نوري باشا والاحوال على غير ما يرام ، فقد ظهرت هوة صعبة الاجتياز ، ولا بد لنا من إلهاء

الرأي العام بقصة جديدة غير فلسطين . ويرى نوري باشا تحريك (العامل المساعد) من الحوادث الحساسة » .

ويلقي صالح جبر التلفون وهو يقول : « او رّيت ! »حسناً ! سأفعل متى وصلت البرقيات ، وما أظن اننا في حاجة الى الجهد حين تصل » .

ولا يطلع الصباح حـــتى تصل البرقيات .. فاذا هي تحمل تصريحات لجلالة الملك ابن السعود تتضمن حمايته الاميركان من عمال النفط ، واحتضانه الاستعمار الاميركي الجديد .

وكان ما توقع صالح إلى حد إذ تناولت الصحف الموضوع ، وتناولته انا بجرأة ولكن بحرية تنصرف للبحث باسلوب علمي مجرد بعيداً عن اثارة النعرات . واثارة الموضوع على هـذا النحو لا تأتي بالغرض من التفريق ، فاوعزوا إلى الدكتور عبد المجيد القصاب — وهو نائب — ان يعرض للموضوع في المجلس ويجره إلى النقطـــة الحساسة ، غير اني كنت لهم بالمرصاد فوجهت في « الساعة » كلمة إلى النائب الشاب الدكتور عبد المجيد ، رجع بعدها إلى الحق ، وبذلك أبطلت مفعول ما ارادوا .

وكان الاسبوع الاخير من كانون الاول يتهيأ (للحدث الاكبر) (حدث المعاهدة) وذلك ما يضطرهم الى إشغال الناس بامر ما ، وان كان ارجاع الناس عن الاهتمام بمـــا يجري وراء الستار امراً صعب التحقيق .

وقد بدت الخطوة تدنو والفرصة تقترب ونشاط كتلة نوري — صالح يزداد كما يزداد نشاط الهيئات السياسية فماذا يشغلون الناس؟

على أثر هذا أثير حادث محلي يتعلق بالوزارة نفسها ، فاشيع ان الوزارة مستقيلة ، ونسجت حول استقالتها أقاويل استناداً إلى اجتماع وقع بين نوري وصالح ، وبينما كان الغرض من هذه الاشاعة التغطية فقط فلا نستبعد أن يكون صالح قد فكر بالاستقالة على أثر النصائح الكثيرة التي أسداها اليه جماعة نحن منهم والسيد سعد صالح - وهو أشدّ خصومه - منهم أيضاً ، ولكنه منع في أغلب الظن فامتنع .

ومهما يكن من شيء فقد نما الخصام السياسي في الأروقة السياسية واستضرت المعارضة ، وكان كل شيء في الجو يدل على ان عاصفة تتهيأ للهبوب .

وعوض أن ترد تلك الظواهر القوم عن عزيمتهم حفزتها الاسراع واكدت نيتهم على الفتك مهما كلف الامر ظانين أن الشدة أضمن في إنجاح المسعى .

ولم يبق يوم الثلاثاء ٤٧/١٢/٢٣ شك في أن النشاط الذي كان يبدو غامضاً قد أنتج العزم على ابرام المعاهدة الجديدة ، ففي هذا اليوم طيرت برقية إلى فاضل الجمالي تأمره بالبقاء في لندن بعد ان كانت عودته مقررة يوم الاربعاء .

أما بقية أعضاء الوفد فلم تتضح اسماؤهم أول الامر وكان صالح مهتماً بأن يكون نوري السعيد وتوفيق السويدي من زملائه ليحملا عنه بعض العبء ، وكانا يحاولان التملص ليحملوه العبء وحده ، غير أنه استعان عليهما وأرغمهما على ان يكونا معه فكانا .

وبدا للقوم أنهم قادمون على أمر خطير لا ينجيهم فيه من سخط

الشعب إلا أن يكونوا في حمى منيع ، لذلك سلكوا إلى تحصين أنفسهم بالخطوات التالية :

١ . مؤتمر قصر الرحاب

أشركوا سيد البلادبالامر ليوهموا الشعب أنه هو أبوم المعاهدة ، وبذلك أرادوا أن يخرجوا انفسهم من العهدة ويلقوا عن عواتقهم ثقل المسؤولية .

ورغبوا إلى سموه في مشاورات استمرت طوال اسبوع أن يدعو رجال السياسة الى مؤتمر في قصر الرحاب ويمهد لتعديل المعاهدة ، وكان يوم الاثنين ٤٧/١٢/٢٨ هو التفسير الصحيح لذلك النشاط الغامض ، ولتلك الحركة غير المعتادة التي خبط فيها المعلقون السياسيون خبط عشواء .

وظهر أن المشاورات راضت سمو الامير على دعوة أقطاب السياسة للمذاكرة في تعديل المعاهدة .

وفي مساء يوم الاحد اجتمع في قصر الرحاب سماحة الزعيم الصدر وأصحاب الفخامة والمعالي نوري السعيد وصالح جبر وحمدي الباجه جي وتوفيق السويدي وأرشد العمري وعمر نظمي وصادق البصام وعبد المهدي المنتفكي والمدفعي ونجيب الراوي ونصرة الفارسي والشبيبي في نفر بلغ عددهم ١٨ .

وكان متوقعاً في هذا المؤتمر أن يبحث في الاسس والمبادىء التي يرتكز عليها تعديل المعاهدة ، ولاسيما بعد ان سبق باجتماعات عدة بين رئيس الحكومة وانصاره ، وبعد أن كان التعديل يتصدر

المنهج الوزاري بتلك المادة المختصرة ، وبعد أن سارت المفاوضات به بين الحكومتين العراقية والانكليزية خطوات واسعة ، وبعد أن فاتحت الحكومة العراقية زميلتها في الموضوع ، وعـــاد الجواب بالايجاب .

كان متوقعاً بعد هذا كله أن تبحث الاسس والمبادىء ويؤخذ فيها رأي المدعوين، ولكن شيئاً من هذا لم يقع، وكل ما حدث في المؤتمر ان تكلم سمو الامـــير فحدثهم ببعض مساعيه في انكلترا لاقناع الانكليز بتعديل المعاهدة وحملهم على ترك المدة الباقية من أمدها الذي ينتهي في سنة ١٩٥٢ ثم طلب الى المدعوين في نهـــاية الحديث إبداء ملاحظاتهم ليسير عـــلى ضوئها المفاوض العراقي في مباحثاته مع المفاوض الانكليزي غداة يلتقيان .

وجدير بالذكر ان الجبهة الدستورية المعارضة سجلت على لسان ممثليها في المؤتمر، الشبيبي والفارسي، اعتراضاً طلبت فيـه أن تعرف نقاط التعديل لتستطيع ابداء الملاحظة .

وكان من رأي سماحة (الصدر) في هذا الموضوع تأجيـــل التعديل بناء على عدم ملاءمة الظرف الراهن لهذا التعديل الذي لن يكون في صالح العراق، فاذا كان التعديل محتوماً فلا ينبغي أن تتجاوز مدته المدة المفروضة لمعاهدة سنة ١٩٣٠ على أن تحذف بموجبه القيود الثقيلة التي حملتها هذه المعاهدة . وإذا لم يكن بد من تمديد المعاهدة الى أجل بعيد فلا بد في هذه الحال من اعتماد وفد وطني أمين على كرامة العراق واستقلاله .

غير أن المؤتمر اكتفى بما قاله سمو الامير ولم يعقد اجتماع آخر

لابداء الملاحظة .

وذلك ما دلّ على أن المؤتمر كان يراد به تحصين المفاوض العراقي فقط .

٢ . مؤتمر النواب

وزيادة في التحصين وضمان التأييد دعا السيد صالح جبر نواب مجلسه وهم الاكثرية مساء الثلاثاء ٤٧/١٢/٣٠ الى اجتماع عقده في مجلس النواب ، وأدار معهم الحديث في تعديل المعاهدة .

فأعدهم لتصديقها وشد ازره في تعديلها فوعدوه النصرة ، وكانوا اكثرية النواب الغالبة لا يشذ عنهم غير خمسة عشر نائباً هم اعضاء (الجبهة الدستورية) بقيادة الشبيبي والفارسي . وبينما كان مهدي الجواهري في عداد نواب صالح الحاضرين المؤيدين للمعاهدة انقلب بعد ان تبين قوة الرأي العام وبرهن من جديد على انه (شاعر) على مذاهب الادب القديمة .

٣ . انصار « صالح »

ومضافاً إلى هذا كله فقد اوعز صالح جبر إلى السيد عبد المهدي ان يجمع زملاءه من الاعيان واخوانه من «الشيوخ» فيعدهم اعداداً تاماً لتأييد التعديل ، وجرت على اثر هذا الايعاز اجتماعات كثيرة بين السيد عبد المهدي وبين زملائه اولئك واخوانه هؤلاء تضمن الغرض المنشود .

وبدا لنا من كل هذا الاحتشاد امران : الاول ان المعاهدة

جائزة حتماً والا لما اقتضت هذه التعبئة الهائلة ، والثاني انهـــا في آخر مراحلها بل هي في مرحلة التوقيع .

وقد اشرنا في اعداد الساعة ابتداء من عددها رقم ٩٣٩ فصاعداً إلى هذا، ثم جهرنا برأينا في المعارضة الجريئة قبل سفره الى لندن وقبل ان يعارضه في المعاهدة احد قبل « الساعة » .

موقف الاحزاب والهيئات السياسية

كل ذلك لم يحد من نشاط الاحزاب والهيئات السياسية بـــل بعثهم على اليقظة والحذر. اما الاشخاص المستقلون ممن يتمتعون بثقة شعبية ممتازة كسماحة الصدر وحكمة سليمان فكانت كلماتهم تروى في هذا الموضوع ومؤداها استهجان البدء بالمفاوضة في مثل هذا الظرف. ثم كان هذا الاستهجان اجماعياً عبرت عنـــه الجبهة الدستورية في المجلس النيابي بالجلسة المنعقدة صباح الاربعاء في ٤٨/١/١ واذاعت الاحزاب بيانات بهذا المضمون جاء منهـا في بيان الحزب الوطني الديموقراطي ما يلي :

١ – العلاقات العراقية الانكليزية لم تقم بالاساس على احترام العراق كدولة مستقلة، وعليه فيرى الحزب أن تقوم هذه العلاقات على أسس تضمن له السيادة .

٢ – ومع ذلك فالحزب يرى شذوذاً في فتح باب المفاوضات لانه لا يعترف بالوضع القائم حكومة وبرلماناً .

٣ – هذا إلى أن تعديل المعاهدة يجري في ظرف تتجه فيـــه البلاد العربية إلى اعادة النظر في جميع امتيازات الدول الاجنبية .

٤ – وعليه فعقد أية معاهدة جديدة تعتبر اجحافاً بحق البلاد ، ويسبب صعوبات جمة في المستقبل للعلاقات العراقية الانكليزية .

ويعتبر هذا التلخيص وثيقة معبرة عن رأي حزب الاستقلال وحزب الاحرار جميعاً في بيانيهما المذاعين في هذا الموضوع. وكانت الأحزاب تلتقي في الموضوعات المستمدة من هـــذا الظرف وشبهه وتصدر عن قيادة موحدة ، وكان لها جميعاً جهد مذكور في توجيـه الطلاب واذكاء روح الوطنية فيهم .

والحق ان النشاط الشيوعي وجد في هذه الحركة متسعاً للنشاط فكان أحد العوامل التي اشتركت باعداد الطلاب لانه كان يلتقي والنشاط القومي في هذه الفرصة المواتية .

غير أنه لم يكن ذا تأثير إلا على الاقلين، وكان اكثر اهابين مدفوعين بروح الاصلاح، والنقمة على الفساد الموروث من العهود السابقة كلها لا على معاهدة بورتسموث فقط .